

محاضرة حول المدرسة الإنقسامية والمدرسة الكولونيالية في الجزائر

مقدمة

تُعَدُّ دراسة المدرسة الإنقسامية والمدرسة الكولونيالية في الجزائر أمراً بالغ الأهمية لفهم التحديات التاريخية والهوياتية التي واجهها المجتمع الجزائري، ولا يزال يواجه بعضها حتى اليوم. لقد ساهمت هاتان المدرستان، كلٌّ بطريقتها، في تشكيل الوعي الجمعي، وتحديد مسارات الصراع الثقافي والسياسي في البلاد. تهدف هذه المحاضرة إلى تقديم تحليل مفصل لكلتا المدرستين، مع التركيز على تعريفهما، أصولهما، ودوافعهما، بالإضافة إلى آثارهما العميقة على الهوية الجزائرية والمشهد الاجتماعي والسياسي.

أولاً: المدرسة الإنقسامية في الجزائر

1.1 التعريف والمفهوم

تُشير المدرسة الإنقسامية إلى ظاهرة الانقسام الثقافي أو الازدواجية الثقافية التي سادت داخل المجتمع الجزائري، خاصة في فترة ما بعد الاستعمار الفرنسي. تتجلى هذه الظاهرة في وجود فوارق واضحة بين مكونات المجتمع، حيث تظهر فئة مهيمنة وأخرى مُسيطر عليها، سواءً على المستوى المادي أو الثقافي. [1] هذا الانقسام لا يقتصر على النخب السياسية فحسب، بل يمتد ليشمل المؤسسات التعليمية كالمدرسة والجامعة. [1]

1.2 الأصول والدوافع

تُعزى أصول المدرسة الإنقسامية إلى عدة عوامل تاريخية واجتماعية، أبرزها:

- **الاستعمار الفرنسي:** لعب الاستعمار الفرنسي دوراً محورياً في إثارة وتعميق هذه الانقسامات. فقد عمل على تغييب الإسلام كعامل موحد بين جميع مكونات المجتمع الجزائري، وبدأ في المقابل بإثارة الانتماءات الضيقة داخل المجتمع. كان الهدف من ذلك هو تفكيك النسيج الاجتماعي وتسهيل السيطرة الاستعمارية. [1]
- **تكوين النخب:** ساهم الاستعمار في تكوين نخبة جزائرية متأثرة بالطرح الغربي، عُرفت بـ **التيار المفرنس**. في المقابل، برزت نخبة أخرى معربة ومؤمنة بالانتماءات الشرقية للمجتمع الجزائري، عُرفت بـ **التيار المعرب**. هذا التباين في التوجهات الثقافية واللغوية بين النخب أدى إلى صراعات عميقة. [1]

1.3 التأثيرات والنتائج

تركّت المدرسة الإنقسامية آثاراً بعيدة المدى على الجزائر، منها:

- **صراعات ثقافية ولغوية:** أدت هذه الانقسامات إلى بروز مشروعين نخسويين متنافسين بعد الاستقلال، كانا بمثابة امتداد لمرحلة الانقسام والتشظي التي عرفتتها مرحلة الحركة الوطنية. هذه الصراعات أثرت سلباً على التنمية الوطنية. [1]
- **إعاقة المشاريع الحداثية:** أدت الصراعات الثقافية واللغوية المستمرة إلى إعاقة أي مشروع حداثي في الجزائر، نظراً لعدم وجود توافق وطني حول الرؤى المستقبلية. [1]
- **أزمة هوياتية:** ساهمت العلاقة الهوياتية المتأزمة بين سلطة سياسية إقصائية ومعارضة استنصالية في وجود وتكريس أزمة هوياتية لا تزال تعيشها المدرسة الجزائرية، والجامعة، وحتى النخب السياسية. [1]
- **الانقسامية اللغوية:** أضعفت الانقسامية اللغوية النخب الجزائرية، وتجدد الحديث عنها في سياق الجدل حول التعليم باللغة العامية، مما يعكس استمرار تأثير هذه الظاهرة على السياسات التعليمية والثقافية. [2]

ثانياً: المدرسة الكولونيالية في الجزائر

2.1 التعريف والمفهوم

تُشير المدرسة الكولونيالية) أو المدرسة التاريخية الاستعمارية (إلى النظرة الاستعمارية للهوية الجزائرية، والتي روجت لفكرة أن الجزائر لم تكن أمة ذات كيان مستقل قبل الاستعمار الفرنسي، وأنها لا تتوفر على العناصر الأساسية لتكون وطنًا. [3] هذه الفكرة كانت جزءًا أساسيًا من الخطاب الاستعماري لتبرير الاحتلال والسيطرة.

2.2 المنطلقات والدوافع

كانت دوافع المدرسة الكولونيالية متعددة، وتهدف في جوهرها إلى ترسيخ الوجود الاستعماري:

- **ترسيخ أسس الاستعمار:** اهتمت المدرسة الكولونيالية بدراسة كل ما له علاقة بالهوية الجزائرية من دين ولغة وتقاليد وعادات. لم يكن هذا الاهتمام بدافع البحث العلمي النزيه، بل كان بهدف استخدام هذه المعارف لترسيخ أسس الاستعمار في الجزائر، من خلال فهم المجتمع للسيطرة عليه وتفكيكه. [3]
- **نفي الهوية الوطنية:** الفكرة الأساسية التي روجت لها هذه المدرسة هي أن الجزائر لم تكن أمة قبل الاستعمار، وأنها لا تمتلك مقومات الدولة الوطنية. هذا الطرح كان يهدف إلى نزع الشرعية عن أي مقاومة وطنية، وتصوير الوجود الفرنسي كضرورة حضارية. [3]

2.3 التأثيرات والنتائج

كان للمدرسة الكولونيالية تأثيرات مدمرة على المجتمع الجزائري:

- **تزييف التاريخ:** تضمنت المدرسة الكولونيالية في كتاباتها عن التاريخ الجزائري الكثير من المغالطات والأكاذيب، بهدف تشويه الحقائق التاريخية وطمس الهوية الوطنية. [4]
- **قمع الثقافة الجزائرية:** فرضت اللغة الفرنسية في التعليم واستبدلت المؤسسات القرآنية والعربية، بهدف قمع الثقافة الجزائرية وتهميش اللغة العربية والدين الإسلامي، كجزء من سياسة الفرنسة. [5]
- **محدودية التعليم:** تميز النظام التعليمي الكولونيالي بمحدودية نطاقه بشكل كبير، حيث كان يهدف إلى تلبية احتياجات الإدارة الاستعمارية وتخرج عدد قليل من الموظفين، مع إبقاء الغالبية العظمى من الجزائريين في حالة من الجهل والتخلف. [6]

ثالثاً: العلاقة بين المدرستين وتأثيرهما المشترك

تُظهر العلاقة بين المدرسة الإنقسامية والمدرسة الكولونيالية ترابطاً وثيقاً. فالمدرسة الكولونيالية، من خلال سياساتها القمعية وتزييفها للتاريخ ومحاولاتها لطمس الهوية، هي التي مهدت الطريق لظهور الانقسامات الثقافية واللغوية التي شكلت جوهر المدرسة الإنقسامية. الاستعمار الفرنسي لم يكتفِ بالاحتلال العسكري، بل سعى إلى احتلال العقول وتفكيك الوحدة الثقافية والاجتماعية للجزائريين.

لقد خلقت سياسات الفرنسة وتهميش اللغة العربية والدين الإسلامي، بالإضافة إلى تفضيل نخبة مفرنسة، بيئة خصبة لنمو الانقسامات داخل المجتمع. هذه الانقسامات، التي تجلت في صراع التيار المعرب والتيار المفرنس، كانت نتيجة مباشرة للسياسات الكولونيالية التي سعت إلى تقسيم المجتمع الجزائري لضمان استمرار السيطرة الاستعمارية. وبالتالي، يمكن القول إن المدرسة الإنقسامية هي إحدى النتائج المباشرة والطويلة الأمد للمدرسة الكولونيالية.

خاتمة

تُعَدُّ المدرستان الإنقسامية والكولونيالية فصلين مهمين في تاريخ الجزائر الحديث، يعكسان عمق الصراع الهوياتي والثقافي الذي خلفه الاستعمار. لقد عملت المدرسة الكولونيالية على نفي الهوية الجزائرية وتزييف تاريخها وقمع ثقافتها، بينما أدت سياساتها إلى ظهور المدرسة الإنقسامية التي غذت الصراعات الداخلية وأعادت تشكيل المشهد الثقافي والسياسي في الجزائر المستقلة. إن فهم هذه الديناميكيات التاريخية أمر ضروري لأي محاولة جادة لبناء هوية وطنية موحدة ومتصالحة مع ذاتها، وقادرة على مواجهة تحديات المستقبل.

ملاحظة: المحاضرة مختصرة في اهم النقاط للاستزادة أكثر مع تفاصيل وشروحات المحاضرة كاملة على منصة مودل علي الرابط:
<https://elearn.univ-tlemcen.dz/course/view.php?id=8950> و

المراجع

- [1] كرايس الجيلالي، مهلول جمال الدين، مريوة وهيبية. (2022). الانقسامية الثقافية في الجزائر: صراع معرب مفرنس من الحركة الوطنية الى دولة ما بعد الاستقلال. الناصرية، 875-822، 13(3) متاح على :
<https://asjp.cerist.dz/en/article/206278>
- [2] جابي (2015)، .، أغسطس 26، جابي :الانقسامية اللغوية أضعفت النخب الجزائرية. الجزيرة نت. متاح على :
<https://www.aljazeera.net/culture/2015/8/26/%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%82%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D8%B6%D8%B9%D9%81%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AE%D8%A8>
- [3] ولد بوسيافة رشيد. (2023). مفهوم الهوية الجزائرية وفق منظور المدرسة التاريخية الكولونيالية. مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، 603-595، 13(1) متاح على <https://asjp.cerist.dz/en/article/223617>
- [4] جعفري، مبارك. مصدر غير محدد. (د.مبارك جعفري :المدرسة الكولونيالية في التاريخ تضمنت الكثير من المغالطات). مقطع فيديو قصير. (متاح على https://m.youtube.com/shorts/0y__ue3qi-Q)
- [5] Senouci Meberbeche, F. (2016). What education for the Algerians in Colonial Algeria? *ASJP*.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/47005> متاح على

- [6] McDougall, J. (2004). The Shabiba Islamiyya of Algiers: Education, Authority, and the State. *Journal of North African Studies*.
متاح على : <https://muse.jhu.edu/article/181216>